Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

المرجعية الدينية في كتاب الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة

م.د.كريم ضباب مطر

مديرية تربية كربلاء المقدسة / معهد الفنون الجميلة للبنين

kareem dabab matar

Holy Karbala Education Directorate Institute of Fine Arts for Boys

Kareemdabab7@ gimall.com

الخلاصة:

اعتنى هذا البحث بالمرجعية الدينية بوصفها من ابرز المرتكزات الفنية والفكرية في كتاب (الكتيبة الكامنة) ؛ إذ شكلت نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف معينا اسلوبيا ومعرفيا اتكأ عليه لسان الدين ابن الخطيب في بناء خطابه النثري وإثراء دلالته البلاغية والفكرية والثقافية ، وذلك بتوظيف المرجعية الدينية في النصوص النثرية عبر استعمال الاقتباس القرآني بنوعيه المباشر وغير المباشر، فكان الاقتباس المباشر حاضرا عبر استدعاء ألفاظ قرآنية أو تراكيب نصية كما وردت في القرآن الكريم، بما يضفي على النص مهابةً وقداسةً ويُكسبه قوة تأثير وإيحاء، أما الاقتباس غير المباشر فقد تجلى في استلهام المعاني والصور والدلالات القرآنية مع اعادة صياغتها ضمن السياق الأدبي النثري ، وامتدت المرجعية الدينية في الكتاب إلى الحديث النبوي الشريف الذي مثل مصدرا مهما للقيم الاخلاقية والتوجيهات الفكرية والروحية ، فقد استثمر المؤلف الاحاديث النبوية أو اشاراتها الدلالية في تدعيم المعاني وترسيخ البعد الوعظي والإصلاحي، مما منح النص بعدا اخلاقيا تربويا وإنسانيا عميقًا وقد حاول البحث أن يكشف تلك المرجعية عبر تحليل نماذج عشوائية لضمان شيوع الظاهرة ، ومعرفة مدى اعتماد المؤلف على نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف،والإفادة منها في اثراء وتشكيل دلالة نصوصه النثرية وإبراز فكرته وضوحا وبيانا ،فضلا عن التعرف على ثقافته الدينية ، ومستوى فهمه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية . الكتيبة الكامنة ـ اقتباس المباشر ، اقتباس غير مباشر

Abstract

This research Investigates the Religious Authorities within the book Al-Katiba al-Kamina (The Latent Battalion), highlighting them as fundamental technical and intellectual pillars. The author, Lisan al-Din ibn al-Khatib, utilizes the Holy Quran and the Prophet's Sunnah (Hadith) as essential stylistic and cognitive resources to construct his prose. By integrating both direct and indirect Quranic quotations, he enriches the rhetorical and cultural significance of his work. Direct quotations of Quranic verses imbue the text with a sense of sanctity and authority, while indirect quotations facilitate the adaptation of Quranic themes and imagery to fit the literary context. Furthermore, the study examines the author's reliance on the Prophet's Hadith as a primary source for ethical, intellectual, and spiritual guidance. By weaving these traditions into his narrative, the author reinforces the sermonizing and reformist dimensions of his work, ultimately providing it with profound moral and humanistic depth. This paper aims to analyze these prose texts to determine how effectively the author utilized religious sources to clarify and strengthen his ideas, as well as to reflect the depth of his religious knowledge and understanding of the Quranic and Prophetic traditions

مقدمة البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على خير الخلق اجمعين رسوله محمد واله الطيبين الطاهرين وبعد . يعدُّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مرجعين مهمين من مرجعيات الأديب الثقافية بصورة عامة ؛إذ استلهم الكتَّاب و المؤلفون منه كثيرا من الرموز والصور ذات الدلالات الواضحة التي رسمت بعدا فنيا وثقافيا وفكريا ، اكسب نصوصهم النثرية روعة وجلالة وقداسة .ولما كانت المرجعية الدينية عند لسان الدين بن

الخطيب تتألف من ركنين اساسيين هما (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) ، فجاء البحث ليكشف اثر هذين الركنيين في بناء النص النثري، في خطة متكونة من تمهيد تناول نقطتين ، الأولى : مفهوم المرجعيات الدينية ، والثانية : التعريف بالمؤلف وكتابه ومنهجه ، وأعقب التمهيد مبحثان ، تضمن المبحث الأول :المرجعيات الدينية في خطاب التراجم ، أما الثاني فتناول فيه المرجعية النبوية والأخلاقية.

وانتهى المبحثان بخاتمة ضمَّت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد

اولا :مفهوم المرجعيات الدينية في الدراسات الأدبية :

فمصطلح المرجعية مأخوذ من (المرجع) وهو الرَّجعة التي تعني الرجوع إلى أصل الشيء مثل مراجعة الرجل أهله بعد الطلاق ، وهناك من ينظر لها بمعنى الرجوع إلى الدنيا بعد الموت قبل يوم القيامة [١]وورد في معجم المصطلحات ((المرجع حقيقة غير لسانية ، تستدعيها العلامة ...، والمرجعية علاقة بين العلامة وما تشير اليه . . . والوظيفة المرجعية للغة ، هي الوظيفة التي تحيل على ما تتكلم عنه وعلى موضوعات خارجية عن اللغة))[٢]ويعدَّ مفهوم المرجعية بحد ذاته مفهوما إشكاليا ينتقل بين الإنكار والإثبات المرحلي، إذ يعمل في مجال اللغة والأدب على حد سواء[٣]، وتعني المرجعية الدينية حضور الدين ـ نصوصا ، ورموزا ، وقيما ، وتصورات ، ومعتقدات ـ حضورا فاعلا يستند اليه في انتاج النص الأدبي أو تحليله، ((والقيمة المرجعية في تكوين الخطاب الأدبي قيمة نصية محايثة بالدرجة الأولى ، إي أنها قيمة جمالية قبل كل شيء لكنها في نهاية التحليل قد تتكشف عن آبعاد فكرية اجتماعية في الأصل ولا مناص من سبر حقيقتها وإدراك أكثر ما يمكن إدراكه من القيم النصية في الانتاج الأدبي))[٤].ولقد اهتم الكتاب بإبراز ثقافاتهم المتعددة المشارب وصبها في كتاباتهم لتعطيها الديباجة والأناقة اللفظية زيادة على تعميق المعاني التي يريدون إبرازها وإظهارها من خلال تلك النصوص, وقد برزت لنا هذه الثقافة من خلال حرصهم على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لما لهما من المكانة السامية والمنزلة العالية في النفوس[٥].ووظف معظم الكتاب والشعراء في العصور الإسلامية آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نصوصهم ليستلهموا قوة معانيه وسلطته المؤثره في نفوس المتلقين ، وحظيت المرجعيات الدينية بأهمية بالغة لدى الكتَّاب؛ لأنها تشكل جزءا كبيرا من هويتهم الحضارية والثقافية التي تظهر في كتاباتهم ومؤلفاتهم على شكل صور إبداعية قرآنية، أو نبوية معبرة، وهي طريقة يستحضر فيها العمل الأدبي عناصر دينية مثل (القصص القرآنية ، الشخصيات ، القيم الاخلاقية)، ليبني معانيه، أو يوجه رسائله إلى المتلقي الذي يتعامل مع هذه العناصر بصورة روحانية تتماشى مع مصدرها، فيتلقف الإشارات والإيحاءات والنغمات التي تنبعث منها، ليؤسس تفاعلا ايجابيا يدعو إلى التأمل ويُشعر بالسعادة والاطمئنان النفسي، و ذلك لأن الخطاب القرآني ((يجيب عن أسئلة الوجود والأخلاق والمصير وهو يجيب عن ذلك بشكل جمالي))[٦].وتتأسس المرجعيات الدينية عند كل مؤلف على ما اكتسبه من ثقافة دينية وقرآنية عبر حياته العلمية، أو العملية، ويقاس معيار التفوق عند اغلب الكتَّاب والمؤلفين في مدى توظيفه للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في نتاجه الفني واللغوي؛إذ يعكس ذلك الأمر قابليته على استعمال خزينه المعرفي وتقديمه للمتلقي بصورة جمالية مؤثرة وفاعله .و المرجعية الدينية هي أعظم مصدر للصورة النفسية كما أجمعت كثير من البحوث الحديثة ذلك ؛لأنه يمس أصفى المشاعر وأرقّها، وأطهرها وابسطها [٧] ، ويستعمل المؤلف هذه المرجعية في بعض الأحيان بطريقة خفية وذلك بالإشارات التي تبوح بالمعنى والتشكل ، فضلا عن تشكيل نمط من انماط المرأى (البانورامي) الصورة الشاملة المتكوّنة من الشخصيات التاريخية ، ليدخلها في متوالية تحتفظ بخصائص الموروث الديني ، وأفعال شخوصه ، وقد تنتشر داخل النص على شكل اشارات وعلامات، لتشكيل المعنى العام فيه.[٨] وتبرز المرجعيات الدينية بطرائق مختلفة منها:

١. الاقتباس المباشر من النصوص المقدسة: ويعني استعمال آيات أو عبارات من القرآن داخل النص الأدبي تزيينا لنظامه وتضخيما لشأنه[٩].

٢. الاقتباس غير المباشر :وهو ما كان الناثر فيه يشير إلى آية من الآيات القرآنية أو حديث نبوي من غير أن يلتزم باللفظ والتركيب[١٠]،.

ثانيا: التعريف بالمؤلف وكتابه ومنهجه:

المؤلف : هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني ، نسبة الى سلمان وهو حي من مراد من عرب اليمن القحطانيّين، ويكنى أبا عبد الله ولقبه لسان الدين [١١] ، ولد ابوه عبد الله بغرناطة عام (٦٧٢هـ)، ونشأ فيها ثم ترك غرناطة وانتقل الى (لوشة) ؛ وفي هذه المدينة ولد ابنه لسان الدين محمد في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة(٧١٣هـ) ، ولمّا عاد أبوه إلى غرناطة عاد معه لسان الدين فنشأ بها وتأدب على شيوخها فدرس اللغة والقرآن والأدب ولقب بذي الوزارتين؛ لجمعه بين الوزارة والكتابة وقد كان موسوعيا؛ إذ الف في التاريخ والجغرافية والأدب والشريعة والتصوف والسياسة والطب والموسيقى ، وبلغت مؤلفاته اكثر من ستين مؤلفا[١٢] الكتاب : (الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة)، يتناول تراجم شعراء الأندلس الذين عاصرهم المؤلف أو لقيهم في القرن الثامن الهجري، لذلك يُعدّ مصدرا مباشرا للحياة

الأدبية والثقافية في أواخر العصر الأندلسي، وقد ترجم لسان الدين بن الخطيب فيه لما يقارب مائة وثلاثة من الشعراء والأدباء، ولا يقوم الكتاب على أبوابٍ تقليديه مرتبة بحسب الموضوعات، بل بُني على تراجم متتابعة للشعراء، والأدباء الذين عاصرهم المؤلف أو اتصل بهم [١٣]وتكمن اهمية الكتاب في أنه مصدرا تاريخيا اصيلا عن الحياة الفكرية في الأندلس، فضلا عن كشفه للعلاقات الثقافية والسياسية والاجتماعية في غرناطة والأندلس المتأخرة، ويمتاز الكتاب بأسلوبه الأدبي البليغ الذي يميل إلى السجع والزخرفة اللفظية؛ إذ يمزج المؤلف بين الترجمة الشخصية والنقد الأدبي والرواية التاريخية والاستشهاد بالشعر، ويفتتح ابن الخطيب كتابه بمقدمة أدبية طويلة يوضح فيها (سبب تأليف الكتاب، وأهمية حفظ أخبار أدباء الأندلس ومكانة الشعر في المجتمع الأندلسي، فضلا عن إعجابه بما بقي من النتاج الثقافي في غرناطة وقد اشار الى أنه اراد توثيق أعلام عصره قبل ضياع أخبارهم بسبب الاضطرابات السياسية التي كانت تعيشها الأندلس، وقُسم الكتاب إلى خمسة أقسام هي : (تراجم كبار شعراء غرناطة وتراجم الأدباء والكتاب وتراجم الشعراء الأقل شهرة و الأخبار والمجالس الأدبية والمختارات الشعرية)، ويختتم المؤلف كتابه بإشارات ورموز تشير إلى تقلب الزمان وضياع الدول و خوفه على تراث الأندلس من الاندثار والضياع ويركز على أهمية تدوين أخبار العلماء والأدباء، وتوثيق نتاجهم العلمي والأدبي، وتظهر في الخاتمة نزعة فلسفية تأملية حزينة تعكس ألأجواء السائدة في أواخر العصر الأندلسي، ويعد الكتاب مصدرا تاريخيا وتراثيا موثوقا؛ لأنه يتحدث عن أحداث وينقل عن شخصيات عاصرها بنفسه [١٤].

المبحث الاول المرجعيات الدينية في خطاب التراجم :

اولاً: المرجعية القرآنية في لغة التراجم: تعدّ المرجعية القرآنية من أبرز الظواهر الأسلوبية والفكرية في نثر وتراجم ونتاج لسان الدين بن الخطيب؛ إذ استند في كتابه (الكتيبة الكامنة) إلى القرآن الكريم بوصفه مصدرا اساسيا متميزا للبيان والبلاغة والمعرفة والتصوير، ولم يكن توظيف القرآن الكريم في الكتاب توظيفًا عابرا، بل شكل بنية عميقة في اللغة والرؤية الفكرية، حتى غدا النص الأدبي النثري ممتزجا مع النص القرآني الكريم عبر الاقتباس والتضمين والإشارة والتلميح، والذي يعد وسيلة فاعلة لبناء الصورة الأدبية وتكثيف الدلالة والمعنى، وإضفاء العمق الروحي على النص الذي يحمل دلالة القداسة، فضلا عن العمق الفني؛ لأن القرآن الكريم هو المنبع والمشرع لكل ما عرفته اللغة العربية من علوم وما كسبه العرب من معارف بسبب ما غرسه الإسلام ودستوره العظيم والحديث النبوي الشريف في نفوسهم من حب العلم والحث على طلبه[١٥]ويمكن تقسيم المرجعية القرآنية في الكتاب إلى قسمين رئيسين:(المرجعية القرآنية المباشرة ، و المرجعية القرآنية غير المباشرة (الإشارية).

اولا : المرجعية القرآنية المباشرة:ويقصد بها استحضار الألفاظ أو التراكيب القرآنية بصورة واضحة وصريحة داخل النص النثري .

قال ابن الخطيب في ترجمة الصالح ابو اسحق إبراهيم التنوخي ((سابق في حلبة العلم والدين ، بشهادة تلك الميادين، رأى الله تعالى تقلب وجهه الوجيه في الساجدين، ...))[١٦] ،و يظهر استعمال المرجعية الدينية في هذا النص عبر الاقتباس المباشر من قوله تعالى (الذي يراك حين تقوم . وتقلبك في الساجدين)[١٧]، لقد استحضر ابن الخطيب جزءاً من التركيب القرآني " تقلب وجهه في الساجدين" مع إجراء تعديل طفيف ليلائم السياق النثري؛ إذ جعل هذا الاقتباس الشخصية الموصوفة مرتبطة بجوٍ ديني وروحي، فحين استعار المؤلف العبارة القرآنية المرتبطة بالساجدين والعبادة، نقل الشخص الموصوف من مجرد عالم أو أديب إلى شخصية ذات منزلة روحية عالية.فالاقتباس القرآني المباشر عمّق صورة الصلاح والتقوى، وجعل المتلقي ينظر إلى الموصوف بعين الاحترام والتقديس والهيبة؛ لأن الألفاظ القرآنية تحمل في ذاتها مهابة خاصة في النفس، فاستدعاء النص القرآني داخل النص النثري يجعل التأثير بالمتلقي أقوى من الكلام العادي.وعبارة ((تقلب وجهه في الساجدين)) تثير مشهد الخشوع والسكينة والطهارة الروحية ،ومن ثم يصبح النص النثري أكثر قدرة على التأثير العاطفي والنفسي، فضلا عن الكثافة الدلالية التي اختزنتها هذه العبارة،وكذلك اشباع النص النثري بالموسيقى والإيقاع، ويتضح ذلك في التناسق الصوتي بين ((الميادين والساجدين))، مما أكسب النص النثري عذوبة ولذة موسيقية قريبة من السجع الفني. وفي قول لسان الدين ابن الخطيب ((وما عسى أن يجدي التأنيب وقد شرد الجنيب، والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. . .))[١٨]، تظهر المرجعية الدينية القرآنية بوضوح من خلال تضمين جزء من آية قرآنية في النص الادبي النثري ؛ إذ اقتبس المؤلف في هذا النص قوله تعالى (الله يجتبي من يشاء ويهدي إليه من ينيب)[١٩] ، فكان اقتباسا قرآنيا مباشرا ؛ لأن المؤلف نقل الاية القرآنية بلفظها تقريبا، وفي هذا الاقتباس القراني اندمج النص القرآني في السياق الادبي الذي فيه تصوير لحال شخص ابتعد وانصرف عن الطريق القويم، حتى لم يعد اللوم والتقريع والعتاب نافعا معه.ولم يكتفِ ابن الخطيب في استدعاء المرجعية الدينية بالاقتباس المباشر بل حاول توظيف هذه المرجعية توظيفا آخر ينطلق منها ليعيد صياغتها بصورة تلائم سياق النص الجديد (والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) ليقرر حقيقة دينية واضحة مفادها أن الهداية والاصطفاء بيد الله تعالى، وأن الرجوع إلى الحق لا يتحقق إلا بالإنابة إلى الله تعالى والتوكل عليه بصدق وإخلاص.

لقد منح الاقتباس القرآني الفكرة قوة إقناعية، وحجاجية صادقة ؛ لأن المعنى العام للنص النثري مستند إلى النص المقدس (القرآن الكريم)؛ إذ تحول الكلام من مجرد عتاب بشري عادي إلى تأمل ونصائح دينية في الهداية والضلال .ونلحظ اندماج هذا الاقتباس القرآني في السياق؛ إذ اضفى وظيفة فكرية وجمالية وعبر عن ثقافة دينية عميقة وأسلوب أدبي وبلاغي رفيع. وتضمن قول ابن الخطيب ((فاضل يزدان بخطه الإنشاء، ويتلى عند رؤيته "يزيد في الخلق ما يشاء" . . .))[٢٠]، مرجعية دينية واضحة قائمة على الاقتباس القرآني المباشر من قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء)[٢١]؛ إذ استعار المؤلف جزءاً من الاية القرآنية وادخله في نسيج النص النثري وسياقه، ليّصف تفوّق الممدوح في فن الإنشاء والخط، حتى إن الناظر إليه يستحضر الآية القرآنية الدالة على تفاضل الخلق وتنوع المواهب التي يمنحها الله لعباده، فابن الخطيب يجعل جمال الخط وبلاغة الانشاء من قبيل العطاء الالهي والموهبة التي يختص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء، فالتفوق ليس امرا عاديا بل موهبة ربانية.وفي هذا النص صورة ضمنية تقوم على أن رؤية هذا الممدوح أو خطه تدفع القارئ تلقائيا إلى تلاوة الآية القرآنية، وجمال صنعته شاهدُ على عظمة الخالق في توزيع المواهب وفي ذلك مبالغة أدبية رائعة في الثناء و المدح.وجاء عند ابن الخطيب قوله: ((علم لا يخفى في الارض ولا يلتبس، ومشكاة فيها مصباح والخلق يقتبس ، وأما خصاله فحقها أن تستر ما امكن وتبرقع وتعوّذ من عين عطار كي لا تلقع ، خطًا مقرونا بالنصر والعتب ، مخلوقا للمعجز المكتتب، ونظما علا الرتب ، كأنه إذا جلاه وعلى الكرام الكاتبين املاه. . .))[٢٢] ، يحمل هذا النص مرجعية دينية قرآنية واضحة تقوم على الاقتباس المباشر والتضمين من الالفاظ والصور القرآنية، وقد وظفها المؤلف لإبراز منزلة العلم والهداية واستند النص إلى قوله تعالى ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ على نُورٌ...))[٢٣]؛ إذ استعمل المؤلف جزءاً مهما من هذه الآية وحولها إلى صورة رمزية إيحائية تدل على العلم والهداية ، وجعل العلم نورا واضحا ((لايخفى)) وهداية لا يعتريها الشك، ومن ثم شبهه ب((المشكاة)) التي ينبعث منها ((المصباح)) في إشارة إلى أن العلم مصدر إشعاع روحي وفكري.ولقد حقق الاقتباس القرآني المباشر عدة وظائف منها ، إضفاء القداسة والسمو والرفعة والروحانية على المعنى، وتقوية الصورة الفنية عبر استحضار صورة النور القرآنية، فضلا عن التكثيف الدلالي ؛إذ إن لفظتي "مشكاة" و"مصباح" تستدعيان كامل المشهد القرآني في ذهن المتلقي. ونجد في النص النثري المتقدم عبارة ((وعلى الكرام الكاتبين أملاه)) وهي مرجعية دينية قرآنية تستعمل الاقتباس المباشر الجزئي في (الكرام الكاتبين) من قوله تعالى ((وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين))[٢٤] ، استعار ابن الخطيب صورة الكرام الكاتبين ليجعل كلام الممدوح في منزلة ومقام ما يُملى على الملائكة ويكتب لعظمته وسموه، إذ حققت هذه الاستعارة وهذه الصورة وظيفة المبالغة في تعظيم الممدوح وتقديسه حين ربطته بالملائكة والكتاب المعجز، فضلا عن التشخيص عندما جعل النظم يُملى على الكرام الكاتبين ملائكة الله تعالى المقربين.وكما نلحظ في النص إيقاعا موسيقيا لفظيا في (المكتتب ـ الرتب ، وطبا ـ رطبا) مما يزيد الموسيقى الداخلية للنص التي تدعو المتلقي إلى الانتباه والاستماع والإصغاء بدقة.

ثانيا: المرجعية الدينية القرآنية الإشارية غير المباشرة : ويقصد بها استدعاء المعاني أو القصص القرآنية دون اقتباس حرفي.

قال ابن الخطيب ((وصعد منبرها تجلو الخطوب خطبه ، ويهز جذعه فيتساقط رطبه. . .))[٢٥] برزت المرجعية الدينية بحضور التناص القرآني بصورة واضحة من خلال الإشارة إلى قوله تعالى (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[٢٦]ويعد هذا التناص من المرجعية القرآنية الإشارية غير المباشر؛ لأن ابن الخطيب لم ينقل آية كاملة لكنه استعار بنيتها التصويرية وألفاظها الاساسية ولاسيما (يهز ، تتساقط ، جذع ، رطب)، واعتمد المؤلف على الصورة القرآنية بوصفها صورة حركية حية متفاعلة : فالآية الكريمة تقوم على مشهد (الحركة ـــــــ النتيجة) = (هز الجذع ـــــ تساقط الرطب).وقد نقل ابن الخطيب هذه الحركة، والتفاعل إلى المجال الأدبي، والاجتماعي فشبه الجماعة، أو المجلس بالنخلة المثمرة التي تعطي رطبها ، وشبه أثر الشخصية في قومه بهز الجذع الذي يؤدي إلى سقوط الثمر والرطب؛ إذ تحول المعنى الذهني إلى صورة حسية متحركة متفاعلة ، فضلا عن إضفاء الحيوية والديناميكية على النص، الذي جعل المتلقي يتخيل المشهد بصريا بكل حركاته وسكناته ،والمرجعية الدينية القرآنية في هذا النص لم تود وظيفة زخرفية جمالية شكلية فقط، بل اصبحت عنصرا اساسيا واضحا في بناء النص النثري عند ابن الخطيب ؛ لأنها كونت الصورة الفنية الجميلة ، وعمقت الدلالة ، وكثفت المعنى و وأثارت الذاكره الدينية لدى المتلقي ، ومنحت العبارة طاقة إيحائية وجمالية كبيرة ، يتلقفها المتلقي ويتفاعل معها إيجابيا.وجاء عند ابن الخطيب قوله ((ورقي من التأله في سفينة بعدما عابها ، وعانى الطريقة فاقتحم شعابها . . .))[٢٧] ؛ إذ جاءت المرجعية الدينية القرآنية في هذا النص في موضعين الأول استند إلى قصة الخضر (عليه السلام) والسفينة الواردة في سورة الكهف بقوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن أعيبها)[٢٨]، استلهم ابن الخطيب من قصة السفينة فكرة قرآنية عميقة ومركزة تقوم على أن الظاهر البارز قد يخالف الباطن الخفي ، وأن العيب الظاهر ربما يخفي حكمة ونجاة وصلاح.فالسفينة

اصابها العيب حفظا لها من الاغتصاب والنهب، ويوحي النص النثري بأن المعانات أو النقص الظاهر أو الحرمان قد يكون سبيلا إلى الارتقاء والكمال والنجاة ،والموضع الثاني بقول ابن الخطيب (وعانى الطريقة فاقتحم شعابها) ؛ إذ يصور الإنسان مجاهدا لطريق الحياة أو طريق المعرفة أو طريق النجاح، متحملا مشقاتها حتى يتجاوز عقباتها، مستفيدا من لفظة (اقتحم) من قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة)[٢٩] ؛ إذ يوحي الاقتحام بتجاوز الصعاب والمشقات بعزيمة وإصرار من أجل الغاية والهدف وهو الفوز ، وأدت المرجعية القرآنية في النص إلى تعميق البعد الحكمي والمعرفي ، فالنص لا يصف تجربة عابرة مندثرة ، بل يربطها بحكمة قرآنية تتعلق بخفاء المقاصد الإلهية وراء الابتلاء والاختبار ، فضلا عن إضفاء قدسية دينية على المعنى ؛ إذ جعل الاقتباس القرآني النص النثري اكثر تأثيرا وهيبة في نفس المتلقي.ومن المرجعية الدينية التي تعتمد على الاقتباس القرآني غير المباشره ما قاله ابن الخطيب يصف أحد الكتاب ((وحذره ميدان البيان على كثرة سواده، وتعدد جواده، وطولب لما جلا على منصة الابداع بنت فكره ، وجاس خلال ذلك الحي ببكره . . .))[٣٠]، استثمر المؤلف ألفاظا وصورا ذات أصل قرآني، لتشكيل مرجعية دينية قرآنية تصويرية رمزية تعتمد على استدعاء المشهد القرآني في ذهن المتلقي حتى يتفاعل مع هذا المشهد ويتأثر به، والعبارة ((جاس خلال ذلك الحي)) فيها مرجعية دينية ناتجة من اقتباس قوله تعالى (فجاسوا خلال الديار)[٣١] ، إن التركيب القرآني في النص النثري حاضر وبوضوح لكن مع تعديل و تغيير في بعض الألفاظ ، فضلا عن استعمال معنى آخر للفعل (جاس) ليتلائم ويتوافق مع النص الأدبي، ويأخذ معنى النفاذ في أوساط البيان أو المجتمع أو ميدان الإبداع مع الايحاء بالقوة والحركة والتمكن، فاستحضار التعبير القرآني أكسب النص الادبي النثري قوة تصويرية فنية جمالية وهيبة أسلوبية وحركة حية في المشهد الأدبي.

المبحث الثاني

المرجعية النبوية والأخلاقية : وهي استحضار الحديث النبوي الشريف أو المعاني المستمدة من سيرة النبي محمد (صلى الله عليه واله) في النص الأدبي سواء بصورة مباشرة عبر الاقتباس المباشر للحديث النبوي أم بصورة غير مباشر عبر التلميح والإشارة.قال ابن الخطيب ((والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله سيد ولد آدم على العموم والإطلاق، الذي أوتي جوامع الكلم ومكارم الاخلاق. . .))[٣٢] ، يُعد هذا النص إحالة مباشرة إلى الحديث النبوي الشريف . (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٣٣]وقد جمع المؤلف بين صفتين للنبي (صل الله عليه واله) (جوامع الكلم) إشارة إلى البلاغة النبوية والفصاحة المحمدية، و(مكارم الأخلاق) إشارة إلى سمو الأخلاق الإسلامية،وهذا الجمع اعطى توازنا بين الجانب البياني والجانب القيمي والأخلاقي ، فضلا عن وجود السجع الموسيقي الذي ينسجم مع المقدمة النثرية في كتب التراجم بين (الاطلاق و الاخلاق)، مما يضفي جمالا نغميا يزيد من تأثير النص في نفس المتلقي. وورد عن ابن الخطيب قوله ((وكان له شعر نزر ، لا ينبت له بزر ، ولا يعاقب مدَّه جزر ، فمن ذلك بيتان خالف فيها نهج الأمم ، نسي قوله عليه الصلاة والسلام : " تزوجوا فاني أباهي بكم الأمم" :

يا عازبًا لا تذلَّ نفسًا عوَّدتها العزَّ والفرحْ

بزوجةٍ فالزواجُ ذلٌّ لو زُوجَ الكلبُ ما نبح .))[٣٤] ، استعمل المؤلف مرجعية نبوية مباشرة؛ لأن النص استند إلى حديث نبوي شريف مشهور يحث على الزواج ويدعو إلى التكاثر.

وجاءت المرجعية النبوية اقتباسا مباشرا من الحديث النبوي الشريف ((تزوجوا فأني أباهي بكم الامم)) ، إذ اورد المؤلف المعنى النبوي بصيغة واضحة ليعارض به البيتين الشعريين الذين يحملان موقفا سلبيا نافرا ساخرا من الزواج ، لقد صور الشاعر الزواج على أنه ذلّ وتقييد للإنسان، ثم بالغ في ذلك بالتشبيه الساخر في قوله :

" لو زوج الكلب ما نبح"

وهو ضرب من ضروب الفلسفة الاجتماعية المبالغ بها غير أن ما يعنينا هو استدعائه للكلام النبوي وتذويبه في السياق الجديد . وهذا التصوير يبنى على المبالغة الساخرة والتهكم ، لكن ابن الخطيب رفض هذا المعنى ، فاستحضر الحديث النبوي ، ليبين أن الإسلام ينظر إلى الزواج نظرة إيجابية بوصفه سنة نبوية شريفة ، ووسيلة لبناء الأسرة والمجتمع ، وطريقا للعفة والشرف والاستقرار ، وسببا في تكثير الأمة الاسلامية واستعمال الحديث النبوي الشريف أضفى على النص قوة حجاجية وإقناعية وسلطة دينية تعارض الفكرة الساخرة في البيتين ، فضلا عن البعد الأخلاقي الذي يوجه المتلقي نحو القيم الإسلامية الراقية التي تدعو إلى صون المجتمع من الرزيلة والشذوذ. ولقد جاءت المرجعية النبوية والأخلاقية في هذا النص النثري بوصفها وسيلة لنقد الموقف الشعري وتصحيح فكرته وتعديلها وفق الرؤية الإسلامية والنبوية .وفي قول ابن الخطيب ((حامل لواء الخط ، والمنفرد بأحكام البري والقط ، السابح من الابداع في لجةٍ بعيدة الشطّ ، كثير الحشمة والحيا . . .))[٣٥]، تظهر المرجعية النبوية في عبارة :(حامل لواء الخط) وهي اقتباس غير مباشر من الحديث النبوي الشريف ((**وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول**

شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر. . .))[٣٦] ؛ إذ اعتمد المؤلف على المرجعية النبوية في وصف شخصية الممدوح وبيّن تفوقها ومهارتها الفنية في الخط بقوله :(حامل لواء الخط) وهذا التركيب مستعار من الحديث النبوي الشريف (حامل لواء الحمد) الذي انتقل من المجال الديني إلى المجال الادبي الفني ، فجعل الممدوح قائدا في فن الخط والكتابة ، كما أن النبي صل الله عليه واله حامل لواء الحمد يوم القيامة ، لقد استعمل ابن الخطيب هذا التعبير النبوي ، لإضفاء طابع التعظيم والتفوق على الشخصية الموصوفة ، فعبارة (حامل لواء الخط) ليست مجرد وصف لمهارة في الكتابة والخط ، بل صورة رمزية اشارية توحي بالسيادة والريادة والقيادة في هذا الفن .فاللواء في الثقافة العربية والإسلامية هو رمز للقيادة والشرف والرفعة والسيادة ، وعندما استدعى المؤلف الصياغة النبوية "لواء الحمد" ثم حولها إلى "لواء الخط" ارتفع بمنزلة الخطاط والكاتب بين اقرانه إلى منزلة القائد المتقدم في ميدانه .وتظهر المرجعية النبوية في عبارة : (كثير الحشمة والحياء) وهي تحيل إلى الحديث النبوي الشريف : **قال:((الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان))**[٣٧] ، لم يكتفِ ابن الخطيب في ابراز مهارة وعلو شان الممدوح في فن الخط بل قرن التفوق العلمي والأدبي بالقيم الأخلاقية الإسلامية ، التي يدعو إليها النبي محمد (صل الله عليه واله) وعلى رأسها الحياء والحشمة، فالحياء في الثقافة النبوية المحمدية ليست مجرد صفة اجتماعية ، بل علامة على كمال الدين والإيمان وصفاء النفس وقوة الشخصية الاسلامية ، لذلك جاء التضمين الحديثي ليمنح الوصف بعدا دينيا وأخلاقيا ، يستلهمه المتلقي ويتفاعل معه ويعمل به . وقد برزت المرجعية النبوية عند ابن الخطيب بقوله : ((فرع محمدة وجلالة ، ورث الفضل لا عن كلالة ، واقتفى من سنن سلفه اثر هاد يدله ، فيما يعقده أو يحله ، واتسم بميسم الحياءِ والحياءُ خيرٌ كله . . .))[٣٨] ؛ إذ ضمّن المؤلف في نصه النثري الحديث النبوي الشريف :(الحياءُ خيرٌ كله)[٣٩] ، ليرسم صورة فنية جميلة للممدوح بوصفه وارثا للفضل ومكارم الأخلاق وحسن السيرة ، فضلا عن وراثة النسب النبيل ؛ إذ تكونت شخصية الممدوح بتعاضد هذه الصفات ، وطغت عليه صفة الحياء وذلك بالإستعارة الجميلة من قوله: (واتسم بميسم الحياء) لقد جعل صفة الحياء كأنها علامة أو سمة ظاهرة تُوسَم بها شخصية الممدوح ، ومن ثم جاء اقتباس الحديث النبوي (الحياء خير كله) ليعطي للوصف قوة إقناعية حجاجية ودينية واضحة ،أنما المؤلف لا يمدح الموصوف برأيه الشخصي فقط ، بل يشهد له الحديث النبوي الشريف على تلك الصفة، لقد عززت المرجعية النبوية الجانب الاخلاقي لشخصية الممدوح ، و من ثم ربطته بالقيم الاسلامية والدينية العليا ، فضلا عن توجيه المتلقي إلى أن الحياء هو أساس الفضل والإنسانية والاخلاق ، وعليه الالتزام بهذه الصفة، ولم تعزز المرجعية النبوية المستوى القيمي في النص فحسب، وإنما دخلت في سياقه الفني منتجةً سلسلةً إيقاعية مبنية على السجع وتوازي العبارات؛ وإذا امعنا النظر فسنجد أن النص بني اساسا على عبارة المرجعية المستدعاة رؤية وبناء فنيًا وورد عند ابن الخطيب قوله :((كان طالبًا خيرا ، وموسوما متطيرا ، وكان من قرية وزلفه ، شهرة سلفه ، فانتظم في الكتَّاب وارتسم . . .))[٤٠]، لقد استدعى المؤلف ـ بصورة غير مباشرة ـ موقف من مواقف التراث النبوي الرافض لصفة التطير (التشاؤم) التي اتسم بها الموصوف في عبارة (موسوما متطيرا) ، مما يجعل هذه العبارة ذات مرجعية نبوية غير مباشرة أو تناص دلالي مع الحديث النبوي الشريف (**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة)**[٤١]، ويجب الوقوف عند كلمة (متطيرا) في النص، لأنها تحمل حمولة دينية نبوية ثقافية واضحة في التراث الإسلامي، فالمؤلف صور الشخصية الممدوحة ؛ بأنها طالبة للخير وساعية اليه ، لكنها موسومة وموصوفة بالتطير ؛ أي بالتشاؤم أو الخوف من بعض الاحداث أو العلامات ، وفي هذا الموضع تتجلى المرجعية الدينية النبوية ؛ لأن الدين الإسلامي حارب ظاهرة الطيرة والتشاؤم، ودعا إلى الابتعاد عنها، وعدّها من بقايا ظواهر السلوك السلبي الجاهلية . لقد جمع المؤلف في نصه النثري بين الخير والتطير ليبين التناقض النفسي في الشخصية الموصوفة ، فضلا عن الايحاء بأن الانسان قد يحمل صفات إيجابية ، لكنه يتمسك في بعض المخاوف النفسية التي جاء الاسلام والنبي محمد صل الله عليه واله لتصحيحها.

الخاتمة:

وفي نهاية البحث نستشف مجموعة من النتائج وهي :

١. حرص ابن الخطيب على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهي ظاهرة ثقافية برزت عند الكتَّاب في العصور المتأخرة، بوصفها لونا من الاستدعاء الإيجابي للتراث الديني في ظل تراجع القيم الاجتماعية في تلك الفترة .

٢. تعدُّ المرجعية الدينية عند ابن الخطيب مقياسا لبراعته في البلاغة وفصاحته وتمكنه من اللغة .

٣. وظف ابن الخطيب المرجعية الدينية بطريقة مباشرة بتضمين آية أو جزء من الاية أو بطريقة خفية غير مباشرة وذلك بالإشارة أو بالتلميح بمعنى الاية القرآنية .

٤. استعمل ابن الخطيب الاقتباس القرآني المباشر ليضفي على النص الأدبي والنثري بعض من روحية القرآن وقداسة الفاظه.

٥. قد يستعمل المؤلف اية قرآنية كاملة أو بعضا من عباراتها أو جزءاً منها، ويدمجها مع النص النثري لتعطي تأثيرا واضحا في نفس المتلقي.

٦. يمنح الاقتباس القرآني المباشر الفكرة وضوحا وقوة إقناعية وحجاجية وروحية عالية .

٧. اضفى الاقتباس القرآني المباشر نغما ايقاعيا جميلا ساعد المتلقي في التفاعل الإيجابي مع النص النثري .

٨. استثمر ابن الخطيب القرآنية غير المباشرة في تشكيل بعض مرجعياته الدينية معتمدا على استدعاء المشهد القرآني في ذهن المتلقي.

٩. وظف ابن الخطيب المرجعية النبوية عبر استحضار الحديث النبوي الشريف أو المعاني المستمدة من السيرة النبوية .

١٠. لقد عززت المرجعية النبوية الجانب الأخلاقي لشخصيات الممدوح ، وربطته بالقيم الإسلامية العليا.

هوامش البحث

(١) ينظر: كتاب العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، ٢٤٨/٢.

(٢) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، سعيد علوش:٩٧.

(٣) ينظر: مفهوم المرجعية وإشكالية التأويل في تحليل الخطاب الادبي، محمد خرماش ، الموقف الثقافي ، عدد ٩ ، ١٩٩٧:٣٥.

(٤) المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الأدبي : ٩٢.

(٥) ينظر: النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين:٣٨٢

(٦)النص القرآني وافاق الكتابة :٢٠

(٧)الصورة الفنية في شعر ابي تمام :٢٣٨

(٨) ينظر: التجريب من خلال توظيف الموروث : ١٩ .

(٩) ينظر: نهاية الإيجاز:١١٢.

(١٠) ينظر: معجم آيات الاقتباس سلسة كتب التراث، حكمت فرج البدري، دار الرشيد، بغداد، دط، ١٩٨٠م.: ١٨.

(١١) ينظر : الاحاطة في أخبار غرناطة :٤/ ٤٣٩

(١٢) ينظر : لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري:٢٢٩.

(١٣) ينظر: الكتيبة الكامنة:١٩

(١٤) ينظر: المرجع نفسه:٢١

(١٥) ينظر:الاقتباس من القرآن الكريم :٧.

(١٦) الكتيبة الكامنة : ٣٢

(١٧) الشعراء : ٢١٨ ـ ٢١٩.

(١٨) الكتيبة الكامنة: ٦٨.

(١٩)الشورى : ١٣.

(٢٠)الكتيبة الكامنة :١٧٢.

(٢١) فاطر : ١

(٢٢)الكتيبة الكامنة:٢٥٥.

(٢٣)النور :٣٥

(٢٤) الانفطار :١٠ـ ١١.

(٢٥) الكتيبة الكامنة :٣٢

(٢٦) مريم : ٢٥.

(٢٧) الكتيبة الكامنة : ٤١.

(٢٨) الكهف : ٧٩.

(٢٩) البلد : ١١.

[٣٠]() الكتبة الكامنة : ١٦٣.

[٣١]() الاسراء:٥.

[٣٢]()الكتيبة الكامنة : ٢٧.

[٣٣]() مسند احمد :١٢٧/٦

[٣٤]() الكتيبة الكامنة: ٥٤.

[٣٥]()الكتيبة الكامنة : ١٩٧.

[٣٦]() سنن الترمذي :٥/ ٥٨٧.

[٣٧]() صحيح مسلم :١/ ٦٢.

[٣٨]() الكتيبة الكامنة :١٩٦.

[٣٩]() ينظر: مسند أحمد : ٤/ ٤٢٦، وصحيح مسلم :١/ ٦٤

[٤٠]() الكتيبة الكامنة :٢١١.

[٤١]() صحيح مسلم :٤/ ١٧٤٦. ، صحيح البخاري :٢١٥٧/٥.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي ، ط١ ، دار النمير ، سوريا ـ دمشق ، ١٩٩٦.

التجريب من خلال توظيف الموروث : مجلة الأقلام ، دراسة : (التجريب من خلال توظيف الموروث) ، جاسم عاصي ، العدد ٤ ، تموز – آب ٢٠٠٠ .

سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى الترمذي ، ت ٢٧٩هـ ، تحقيق : احمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وابراهيم عطوة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت

صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م .

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الصورة الفنية في شعر أبي تمام , عبد القادر الرباعي , جامعة اليرموك , عمان , ١٩٨٠م.

العين : للخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي ، و الدكتور ابراهيم السامرائي ، وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ، ١٩٨٠ – ١٩٨٢ م

الكتيبة الكامنة في مَن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة . بيروت . لبنان ١٩٨٣م.

لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري :محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٨.

المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الأدبي ، محمد خرماش ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد ٣٨، ١٩٩٥:

مسند الامام احمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ، المطبعة الميمنية ، بيروت، ط٢، وطبعة دار المعارف بتحقيق احمد شاكر، ط٣، ١٩٥٨م.

معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥.

معجم آيات الاقتباس سلسة كتب التراث، حكمت فرج البدري، دار الرشيد، بغداد، دط، ١٩٨٠م.

مفهوم المرجعية وإشكالية التأويل في تحليل الخطاب الادبي، محمد خرماش ، الموقف الثقافي ، عدد ٩ ، ١٩٩٧:٣٥.

النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، حازم عبد الله خضر، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، د ط، ١٩٨١م.

النص القرآني وآفاق الكتابة , أدونيس , دار الآداب , بيروت ,(د.ت)

نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، القاهرة ، دط ، دت.